الخِطَابُ النَّقْدِيّ المَغَارِبِيّ
الحديثُ والمعاصر 2

(مرجعياته ، إشكالاته، اتّجاهاته، آفاقه)

تأليف مجموعة من الباحثين

أعمال الملتقى الدّوليّ الثاني

إشراف وتنسيق

أ.د. أنيسة أحمد الحاج د. غشام بومعزة

منشورات مخبر الخطاب المحاجي
أصوله، ومرجعياته، وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

الخطاب النّقدي المغاربي الحديث والمعاصر
تأليف مجموعة من الباحثين
2

الخطاب النّقدي المغاربي
الحديث والمعاصر
(مرجعياته ، إشكالاته، اتّجاهاته، آفاقه)
أعمال الملتقى الدّولي الثاني

ISBN: 978-9931-297-02-4

منشورات مخبر الخطاب المحاجي
أصوله، ومرجعياته، وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

الخطاب النّقدي المغاربيّ
الحديث والمعاصر

إشكالاته، اتّجاهاته، آفاقه

كتاب جماعي محكّم

الجزء الثاني

منشورات مخبر الخطاب الحجاجيّ في الجزائر

أصوله ومرجعياته و آفاقه في الجزائر

الخطاب النّقدي المغاربي الحديث والمعاصر
إشكالاته، اتّجاهاته، آفاقه
ج2

تأليف مجموعة من الباحثين

إشراف وتنسيق: الأستاذة الدكتورة أنيسة أحمد الحاج /الدكتور بومعزة غشام

الترقيم الدولي: 978.9931.297.02.4

تاريخ الإيداع القانوني: 13 /06/ 2022

الجزء االثاني - عدد الصفحات: 371

جميع الحقوق محفوظة

منشورات مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته و آفاقه في الجزائر

جامعة ابن خلدون. تيارت. الجزائر

تصميم الغلاف: الريم للتصميم

تأليف مجموعة من الباحثين
إشراف وتنسيق:
الأستاذة الدكتورة: أنيسة أحمد الحاج
الدكتور: بومعزة غشام

منشورات مخبر الخطاب الحجاجي
جامعة ابن خلدون. تيارت. الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

الرئيس الشرفي للملتقى: الأستاذ الدكتور بلقومان برزوق

رئيس الملتقى: الأستاذة الدكتورة أحمد الحاج أنيسة

رئيس اللجنة العلمية: الأستاذة الدكتورة قوتال فضيلة

أعضاء اللجنة العلمية:

أ.د زروقي عبد القادر	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د داود امحمد	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د شريفي فاطمة	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د بن يمينة رشيد	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د معازيز بوبكر	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د صوالح نصيرة	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د قاسم قادة	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د دبيح محمد	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د مكيكة محمد جواد	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د باقل دنيا	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د عزوز الميلود	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د كراش بن خولة	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د بوهنوش فاطمة	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د تواتي خالد	جامعة تيسمسيلت
أ.د بلمهل عبد الهادي	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د. لقجع جلول سايح نادية	جامعة جيلالي ليابس -سيدي بلعباس-
أ.د بلعجين سفيان	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د مهيدي منصور	جامعة ابن خلدون-تيارت-

أ.د فارز فاطمة	جامعة ابن خلدون-تيارت-
أ.د مداني علي	جامعة ابن خلدون-تيارت-
د. تركي امحمد	جامعة ابن خلدون-تيارت-
د. طيبي حرة	جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان -
د. شريط رابح	جامعة ابن خلدون-تيارت-
د. بلعالم فضيلة	المركز الجامعي –الشريف بوشوشة -آفلو
د. عبددو رابح	جامعة ابن خلدون-تيارت-
د. شويشي مريم	جامعة مصطفى اسطمبولي– معسكر -
د.شيادي نصيرة	جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان -
د.عطى الله ناصر	جامعة ابن خلدون-تيارت-
د. صوالح محمد	جامعة ابن خلدون-تيارت-
د. موازبي ربيع	جامعة ابن خلدون-تيارت-
د. بومعزة غشام	جامعة ابن خلدون .تيارت.

فهرس المحتويات

المداخلة	الصفحة
د.بوهلالة امحمد، المدرسة العليا للأساتذة بشار، أثر المثاقفة في توجهات النقد المغاربي المعاصر	401
أ.د مكيكة محمد جواد، جامعة ابن خلدون تيارت، نقد المركزية ورهانات التحول في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر	419
د بوغنوط روفيا، جامعة أم البواقي، خطاب ما بعد الكولونيالية والدراسات الثقافية في النقد المغاربي المعاصر المفهوم والمنظور النقدي	433
د يعقوب جليلة، جامعة منوبة تونس، في تحولات النقد المغاربي من محور الأدب إلى هامش المجتمع	461
د.بوغفالة إبراهيم، جامعة ابن خلدون تيارت، فلسفة المابعد في النقد المغاربي المعاصر وقفة مع كتاب " في نظرية القراءة لعبد المالك مرتاض "	479
د. صوالح محمد، جامعة ابن خلدون تيارت، أنساق المابعد وتمثلاتها في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر " كتاب الأيديولوجيا العربية المعاصرة لعبد الله العروي أنموذجا	493
د.عميرات أسامة، المدرسة العليا للأساتذة سطيف، حضور الخطابات الواصفة في الممارسات النقدية الجزائرية المعاصرة " تجربة عبد المالك مرتاض أنموذجا "	507
د. زياني سمير، المركز الجامعي مغنية الجزائر، تحولات النقد السيكولوجي في المغرب العربي " قراءة في جهود حسن المودن "	529
ط.د مرسلي رشيدة، جامعة بشار، قراءة في نظرية التأويل التقابلي لمحمد بازي	551
د.بوسكين مجاهد، جامعة معسكر، النقد المغاربي وأسئلة التنظير، "الإجراء والمرجعية والهوية "	565
د. بن مايسة إلهام، جامعة تيارت، المقاربة السوسيونصية لرؤية العالم في الخطاب النقدي الروائي الجزائري " أعمال سيدي محمد بن مالك "	587

د. غشام بومعزة، جامعة تيارت، البلاغة الموسعة من السرديات الكلاسيكية إلى سردية الرواية عند محمد مشبال.	605
ط.د روباش يوسف، جامعة تيارت، الخطاب النقدي عند محمد مشبال بين بلاغة الحجاج وبلاغة الصورة.	623
أ.د درواش مصطفى، جامعة تيزي وزو الجزائر، استراتيجية السعي إلى الاختلاف والاستقطاب	639
د. بكوش جميلة، جامعة مستغانم الجزائر، مؤولات النص في تجربة الناقد الجزائري عبد القادر فيدوح	659
أ. أومقران حكيم، جامعة بجاية الجزائر، راهن النقد وفلسفته عند الناقد حسين خمري	677
ط.د عمالو الجيلالي، جامعة تيارت الجزائر، الخطاب النقدي المغاربي المعاصر والمرجعيات المستعارة	693
أ.د عزوز الميلود، جامعة تيارت الجزائر التجربة النقدية لدى حسين خمري قراءة في الخلفيات المعرفية والإجراءات التطبيقية	721
د عماري مالك، جامعة تيارت الجزائر، الخطاب النقدي وأبعاده الابستمولوجية في الفكر النقدي المغاربي المعاصر	737
د.شولاق أحمد، جامعة تيارت الجزائر، الخطاب النقدي المغاربي الواقع والمأمول	759

في تحوّلات النّقد المغاربيّ من محور الأدب إلى هامش المجتمع
د. جليلة يعقوب- جامعة منوبة تونس

أوّل التّفكير "في تحوّلات النّقد المغاربيّ من محور الأدب إلى هامش المجتمع "كان من خلال قراءة كتاب "نحو الشّوارع غرافمار" لتوفيق العلوي في علاقة بِـ "الخطاب الجداريّ"، وقد بحث فيه من جوانبَ عديدة لا تخرج عن إطار اللّسانيات، وهو المنطلق ذاته المتّخَذ في هذه الورقة البحثيّة لكن من حيْث خروج هذا النّوع من التّدوين عن النّقد في سرديّة الخطاب والمألوف جنسًا ونمطًا إلى ما يبدو هزّة في الثّقافة العربيّة ودوائرها الضّيّقة يمثّلها النّقّاد والكُتّاب في دوائر المجتمع؛ كتابة تبدو غريبة عن هذه الأوساط بما أنّها في الهامش منها، ولكنّ المتمعّنَ فيها أو في الفضاءات العموميّة يكتشف صنفًا آخر من المدوّنين بل ممّن نشروا فكْرًا مغايرًا قد يهزّ الثّابتَ من القِيم والمألوف من السّلوك ليدفع إلى التّفكير في أشكال هذا الخطاب وخلفياته ومحتوياته والمنشود منه في آنه ومستقبله؛ والتّوسّعُ في خصوصيات هذه الكتابة أو هذا الأفق الجديد من التّفكير والإنشاء كشف أنّه ليْس حكرًا على مكان معيّن أو زمان محدّد أو ردّة فعل على حدثٍ قد يكون "حقيقة" أو جزءًا من وهْم في ما تعيشه بلدان شمال أفريقيا من هزّات أو محاولاتِ تغيير راهنٍ اتّخذ مسمّياتٍ عديدةً.

إنّ أمرَ هذا النّوع من الكتابة على هامش المحور، وإنْ تكن كتابة مجهولين في التّسمية فإنّهم معروفون في المجتمع، إنّهم المنسيّون أو المعذّبون فيه لمْ يجدوا لهم صوتًا فأنشأوا له صدى كَرْهًا؛ إنّها إشكاليّة كونيّة سواء أكان ذلك على مستوى الحدث أمِ النّقد، وهو ما يبرّر انفتاحنا في إنشاء هذه الورقة البحثيّة على:

1. خصوصيات الكتابة على الجدران ومبرّرات اتّخاذها مرجعًا في المحتوى والغاية، والرّسم والوسم 2. والمراوحة في تناول هذا النّمط من سرديّة الخطاب بيْن التّونسيّ والمغاربيّ والعربيّ والعالميّ، وذلك للتّأكيد على أنّ لواقع الشّعوب إملاءاتٍ في الكتابة والنّقد؛ 3. لمْ تكن زاوية النّظر في هذا البحث مسلّطةً على نقد الخطاب السّرديّ بقدر البحث في تحليل الخطاب بالنّقد وأسباب التّحوّل والمغايرة من ثقافة النّخبة إلى ثقافة الهامش في الدّرس والنّحو.

المقدّمة

تراوحت الدّراسات النّقديّة الحديثة والمعاصرة بيْن المناهج التّاريخيّة والأدبيّة واللّسانيّة لتطفوَ ثنائيّة إنتاج/ تأويل في قراءاتٍ تتجاوز أجناسيّة الخطاب ونماذجه للبحث في خطابات الهامش والمهمّشين؛ كان هؤلاء علامة من علامات "تمرّد" الكتّاب على خاصّيّة النّمط وتحويل صورة الشّخصيات المتحدَّث عنهم في نزعة تهزّ مفهوم القيمة وتجلّيها بالمعنى وضدّه، الضّدّ الذي تغيّرتْ معه صورة "الكاتب" وثقافته ومعرفته أيْضًا فكان تحوُّلُ المحور من الأدب مفهومًا ومضامينَ إلى مخالفة العُرف، فإذَا الهامش يُنشئ الخطاب ويعرِضه في غيْر سندات الخطاب وسجلاّته بل وأعماله اللّغويّة أيْضًا؛ إنّنا نقصد الكتابة على الجدران أو على أيّ مساحة وفي أيّ فضاء قيمته ليْست في ذاته وإنّما في انفتاحه على المتلقّي في غير صفة محدّدة؛ تغيّرت أدبيّة النّصوص وأصحابها و"منظّروها"، ومع كلّ ذلك تغيّرت معايير النّقد؛ تجلّياتٌ لها شذراتها في المنتَج الأدبيّ العربيّ والعالميّ ليْس في تكريس القيمة بل بالبحث عنهافي متاهات السّياسة والإيديولوجيا.

من هنا تولّدت تصوّرات هذه الورقة البحثيّة ومداراتها حول:

1. تغيّرات مواضيع نقد الخطاب والتّوجّهات في دراساته ليصبح ألصق بالواقع وأبعد عن التّنظير وعن نمطيّة الكتابة.

2. في ماهيّة متعلّقات هذا الخطاب وموضعه من عالميّة النّقد ومتغيّرات أنساقه ومراجعها.

3. الخطاب النّقديّ المغاربيّ خصوصيّة أمْ أصداء كتابة وإشكاليات تعريف في التّاريخ ومحاور الهيْمنة.

1. الكتابة على الجدران بيْن حقيقة الو اقع ووهْم الحُلْم

1. 1. الكتابة على الجدران عُقَدٌ في الذّاكرة

اللّغة بيْن الاستخدام والإيديولوجيا تُسْتَعْمَل لتعكس مواقفَ إنسانيّة، ولعلّ هذا من مبرّرات وضع الكتابة على الجدران، أو في أيّ فضاء من جنسها ونوعها ضمن مستويات تقطع مع المؤسّسات لتكون نموذجًا للخطاب/ السّلوك أكثر من الخطاب/ النّسق؛ إنّه سلوك مجموعة مجهولة في التّسمية معروفة في السّاحات العامّة فئاتٍ وليْس أفرادًا؛ هذه المجموعات التي لها أنماط في السّلوك مغايرة ليْس لها أنْ تشارك في الحياة العامّة إلاّ في الهامش؛ إنّها من إنتاج المجتمع ولكنّها غريبة عنه، فلمْ يكن لها إلاّ الممارسات اللّغويّة لإعادة إنتاج نظامه إنكارًا للمهيْمنين فيه؛ إنّها تدوّن أعمالها لتحقيق التّوازن الفريد من خلال ما يعتبره الآخر "العنف الرّمزيّ" الذي يمارسه بشتّى الوسائل وفيها لكن يضفي عليْه خصائص القانون في السّياق المؤسّساتيّ.[1]

الكتابة سواء أكان الخيالُ وسيلةً فيها أمْ غاية تظلّ متجاذبَة بيْن الواقع والإيهام به، وفيهما المشهديّة انعكاسٌ لهموم الذّات في الأدب تقليدًا في الحكي أو عرْضًا يحاكيه دون أن يكون نظيره أو جنيسه في وجهات النّظر أو "الخصائص الأساسيّة للتّصنيف"[2]؛ يصوغ الكاتبُ خطابه وقد لا تعنيه الإسميّة في المعرفة والتّنكير أو الحضور والغياب بقدر ما يبحث عن الكلمات وهي تتشكّل فتحلّ بديلاً عن المعنى وخلفيّة لغير المألوف منه، وهي تعطي إعادة صياغة للتّحليل اللّغويّ واشتقاق لنموذج يناقش التّمييز بيْن معجم الكلمات وتصريفها،

---

1 Adrian Blackledge (2005). Discourse and Power in a Multilingual World, Amsterdam_/_Philadelphia :John Benjamins Publishing Company, pp. 32- 33.

2 فرانسواز فان روسوم- جويون(1989). وجهة النّظر أو المنظور السّرديّ نظريات وتصوّرات نقديّة. ضمن: *نظريّة السّرد من وجهة النّظر إلى التّبئير* (ص 5– 33)، ترجمة: ناجي مصطفى، الدّار البيضاء- المغرب، منشورات الحوار الأكاديميّ والجامعيّ، ط.1، ص 16.

حين يكفّ التّوقّف عند الوظيفة النّحويّة للبحث في غير ما يتعلّق بالقاعدة في اللّغة والمجتمع، أو النّظاميّ وغير النّظاميّ، ويمكن الاستدلال على ذلك بالخطاطة التّالية[1]:

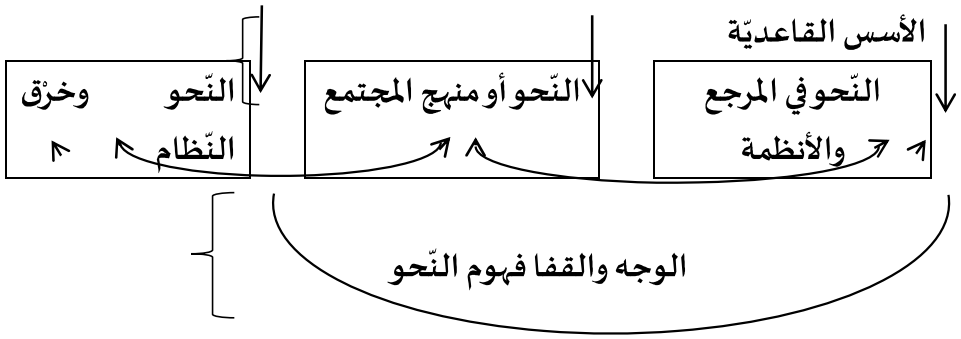

الخطاطة 1. 1. الموازنة بيْن أنساق اللّغة والانزياح عنها

هي كتاباتٌ موجزَة تلخّص منهجًا وأدبيات تفكير تُخفي فرضيات الحلم في تغيير بيئاتٍ مادّيّة واجتماعيّة من خلال الكلام والتّلاعب بأدواته؛ خطابات تشاركيّة ولا تواصلَ إلاّ في النّقد وبه[2]؛ كتاباتٌ يعسر وضعها في خانة الأدب بمفهومه التّقليديّ، ولكنّها مع ذلك هي جزءٌ منه في بلاغته، أو هو يعكس المنهاج فلا تكون قراءته حتّى تستلزمَ مكوّنات النّصّ ما في العصر من تبدّل مفهوم الواقع في الواقع والتّجربة وتحويل هذه المعلومات المكتوبة على الجدران والمدوَّنَة في الهامش إلى معرفة حقيقيّة؛ إنّها الذّاكرة وقد أُثقِلت بما فيها فأنشأته نسخَ ماضٍ في حاضر، وحاضرٍ في حال ليست لصاحبه القدرة على فصله أو تحقيق انسجامه مع الحقيقة؛ وهي توثيق لمشاكل خطيرة وللوضع وسبُل النّفع لأنّها تسجّل المعلومات الصّحيحة في اللّحظة المناسبة عن طريق الوسم بالصّورة والرّسم صورةً حسّيّةً

1 Pius Ten Hacken& Claire Thomas (2013). Word formation, meaning and lexicalization. In Pius Ten Hacken& Claire Thomas (Eds.), *The Semantics of word Formation and lexicalization* (pp. 1- 27). UK : Edinburgh University Press, p. 20.

2 ReginaBlume(1985). Graffiti. In T. A. Van Dijk (ed.) *Discourse and literature* (pp. 137 - 148). Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins B.V.

مشحونٍ عاطفيًّا؛ إنّها بحث الذّات عمّا يناسبها في القدَر الممكن من خلال ذاكرتيْ المكان-الصّورة بحثًا عن الصّدى.[1]

يؤسّس هذا النّوع من الكتابة لمفهوم جديد للحواريّة ربّما تظلّ مرفوضة منبوذة في بعض دوائر السّلطة والقرار، ولكنّها حين تُنشَر في فضاءٍ قد وُضِع لغيرها فهذا يعني إضافةً إلى تبليغ محتويات النّصّ "الغريب" أو كما يقول روجر فاولر "تحقيق اللاّمألوفيّة النّقديّة عن طريق مقابلة أصوات وإيديولوجيات مختلفة"[2] فإنّه يُنشئ نصًّا جديدًا قد يبدو هجينًا، ولكنّه مع ذلك، لا يقطع كلّيًّا مع الأدب والنّقد، وإن اختلفت المفاهيم التّقييميّة وطُرُق التّوظيف والغايات منه.

1. 2. الكتابة على الجدران مر ايا دهاليز الغُبْن

تغيّرت المواقع والأدوار، وأصبح المتلقّي يُنشئ الخطاب بلُغة الهامش وصور الواقع من منظوره؛ الثّقافة لمْ تعد توافق التّعليمَ والتّلقين في علاقة عموديّة أو في ترديد أصداء الزّمان بل صار الخطابُ النّقديّ مرآة للذّات قد تكون مفردة أو جماعيّة أنكرتِ المفعوليّة وتوجيه المعرفة وسعت إلى التّعبير عن إدراكها الفُروق بيْن الأفراد ضمن المجتمع الذي يوجد فيه ولا ينتمي إليْه، ويفسّر باترك شارودو هذه التّحوّلات بقوله:

"طبعًا هذا المنطلق بيْن وعي الذّات ووعي الجماعة ليْس بالمطْلق ولا بالمحدود بصفة قطعيّة، فالاختلاف يحدّد معرفة الذّات التي تتميّز بالحركيّة أيْضًا؛ اختلافٌ قد يصير مماثَلة قياسًا بموضوعٍ ما أو شخصٍ ما حسب طبيعة العلاقات بيْن الأفراد والجماعات".[3]

تتغيّر معاني القول والفعل والوجود بتغيُّر المحيط المادّيّ، وبما أنّ اللّغةَ أداة التّواصل فيه فمن البديهيّ أنْ تشملها المتغيّرات في الاستعمال والمرجع بيْن التّجربة والافتراض والتّجريد؛ أدبياتُ مقاومة وإنشاء هُويات بديلة تقطع مع "القيَم التّنظيميّة" وتُنشئ اتّجاهًا

1 Stewart Whittemore (2015). *Rhetorical Memory A Study of Technical Communication and Information Management,* Chicago and London : The university of Chicago Press, p. 205.

2 روجر فاولر (2012). *النّقد اللّسانيّ*، ترجمة: عفاف البطاينة؛ مراجعة: هيثم غالب النّاهي، بيْروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط. 1، ص 33.

3 Patrick Charaudeau (1983). *Langage et Discours Eléments de Simiolinguistique (Théorie et pratique),* Paris : Hachrtte, p. 22.

مغايرًا في القول ووسمه، وخطاباتٌ تقوم على تحويل فضاءات التّقبّل عسى أنْ تضمن انعكاسَ الاحتماليّ من الظّرف إلى العقليّ في فهْم خطابات مستنبطة تحتاج التّوصيف وإعادة الإنشاء؛ صيغة غيْر مكتملة واكتمالها رهين الكشف عن المفقود في الشّكل والمجتمع.

إنّ علاقة الكتابة بفضاءاتها هي جزءٌ من سماتٍ يتمّ التّعبير عنها كميزة غيْر قادرة على الدّلالة حتّى تكتملَ العلاقة بيْن الكائن والموضوع في ضربٍ من التّخلّي عن طقوس دورة الحياة؛[1] هي الفكرة الاجتماعيّة التي تمثّل عقبة أمام التّسلّط المؤسّساتيّ، وظاهرة تضع الزّمان في موضع إشكاليّ بيْن التّاريخ و"وكلائه" في السّياسة والاقتصاد، والتّغيّر كحتميّة فرَضَها التّهميش الاجتماعيّ في المجتمع الدّوليّ[2] أفرزتْ حِدّته سرديّةَ خطاب من جنسه، فإذَا هو في مختلف أشكاله نظير التّعقيدات المستمرّة في السّياسة والحياة تحاكيها ألوان ورسوم وكتابة المعنى في العبث أو التّجربة والفكر في "حالة اغتراب وضياع" تحيل إلى انصهار النّقد في موضوعه.

قد يُنظرُ إلى هذا النّوع من الكتابة على أنّه "الفكر السّالب" لقيمة الأدب، ولكنّه الكتابة التي تنزاح عن "سجلّ التّاريخ اللّغويّ للبشريّة" في بعده النّقديّ المألوف لتكتسبَ أداءً مختلفًا في النّقد، أو كما يراه أبو النّور حسن في حديثه عن "تحوّل الكلام والخطاب إلى حقيقة واقعيّة" عند يورجين هابرماس، فيقول:

"كان يهدف إلى تغييرٍ شاملٍ وجذريّ للمجتمع ويحاول الوصول إلى مجتمع أفضل، ووجدَ أنّ الهدفَ لن يتحقّقَ إلاّ عن طريقة إعادة بناء نظريّة لفعْل التّواصل وخاصّةً في التّفاعل اللّغويّ، ويرى أنّ هناك شروطًا (...) وهي أساسيّةٌ حتّى تتمَّ عمليّة التّواصل (...) في الحقيقة إنّ تحقيق هذه الشّروط أمرٌ صعب ونادرٌ في معظم الأحوال بسبب الأكاذيب والتّغيّر الزّائف

1 Paul Kocklman (2010). *Language, Culture, and Mind Natural Construction and Social Kinds*, UK : Cambridge University Press, p. 50.

2 Luis Sanchez-Masi. (2021). The Socio-Institutional Idiosyncrasy of Latin America : An Endemic Constrain to Its Dvelopment. *Academia Letters*, Article 2615. https://doi.org/10.20935/AL2615.

في الحياة اليوميّة. فإذَا وُجِدت هذه الشّروط وتخلّصنا من النّفاق والخداع في حياتنا اليوميّة يكون التّواصلُ بيْننا حقيقيًّا وليْس تواصلاً مشبوهًا".[1]

إنّ التّأمّل في هذا النّوع من الكتابة يشي بأنّ وضعَه ضمن الهامش هو تعيير جزئيّ عرَضيّ استنادًا إلى ممارسات ابستيمولوجيّة تعوّدتْ على التّصنيف الهرميّ الذي يُقصي في أحيانٍ كثيرة علاقة المعرفة بالأخلاق، والمجتمع بالتّواصل وتعديل المرجع في النّقد والتّقييم على ضوء ما يشهده العالم من تحوّلاتٍ، وليْس فقط البلدان المغاربيّة، بات من الضّروريّ أنْ يكون الخطاب النّقديّ وتحليله رهينيْ الشّارع ووسائل تعبيره لا النّظر إليْه على أنّه "ممارسة غيْر حضاريّة" أو أنّه جزئياتٌ تظهر في مقام معيّن سرعان ما تتجاوزه الأحداث، فما الأحداث إلاّ مشاكل خطيرة تدلّ على أنّ النّسيج المجتمعيّ في تفكّكٍ، وأنّ العقل أغرق في التّجريد والتّرف الفكريّ حتّى أصبح يهدّد تمثيليّة الفكر في النّقد ويفرض ضغوطات التّجريب في نقد الخطابيْن كليهما في اللاّمحدود من ردود الأفعال.

فتحتْ الكتابة على الجدران رؤية لسرديّة الخطاب والنّقد في اتّجاه عكسيّ، إذْ لمْ يعد الأمرُ متعلّقًا بالتّناصّ والتّراصّ وإنّما بالمجاورة بيْن إثبات النّصّ ونفيه، وبيْن تطلّعٍ إلى التّجريب والتّغريب في الكتابة الإبداعيّة إلى التّعبير عن الواقع المسكوت عنه بالبحث عن الذّات في غرابتها وغربتها؛ إنّها تمثيل الواقع وتسجيل التّاريخ بالاتّكاء على "عَرْض جزئيات الواقع اليوميّ، وزخم الحياة الفرديّة/ والجماعة في آنٍ"[2]، كما يقول بوشوشة بن جمعة، في مفارقاتِ الأعراف والجمال اللّفظيّ والدّلاليّ، ذلك أنّ الكتابة على الجدران قد تكون غريبةً في فضاءاتها وصِيَغ تشكّلاتها، ولكنّ الكتابة الأدبيّة قصصًا أو رواياتٍ أو ما يدور حولها في السّرديّة المعاصرة تحيل إلى الأصداء بيْنها في إشكالات الحياة والوجود وطرحها من خلال نماذجَ لا تعنيها البطولة بما أنّها توجد في أنسجة منفرطة وأشكالِ تدوينٍ بعضها يحتاج إلى

1 أبو النّور حمدي أبو النّور حسن (2012). *يورجين هابرماس الأخلاق والتّواصل*، بيْروت- لبنان، التّنوير للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص163- 164.

2 بوشوشة بن جمعة (2005). *سرديّة التّجريب وحداثة السّرديّة في الرّواية العربيّة الجزائريّة*، تونس، المطبعة المغاربيّة للطّباعة والنّشر والإشهار، ط. 1، ص 47.

تأويل، ويتطلّب بعضها الآخر فكَّ التّدوين من النّقد ودواعي استحالة الكتابة إلى بحثٍ في علاقة الصّور والمجازات بِمَنْ رسمها، ولمْ يكن يعنيه من الهُويّة إلاّ أثرها.

2. تحوّلات الكتابة النّقديّة بيْن الاختيار والحتميّة

2. 1. أدبيّة النّصّ بيْن جماليّة اللّفظ وفظاعة المعنى

اللّغة وقضايا المغايَرة بيْن أنْ تكون في شكْل مجسّمات، أو صفات لقضايا، أو تحقيقًا لبعض الاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم؛[1] تنوّعٌ في النّقل والعقل، والنّقد لِمَا يبدو تهديدًا للسّائد في التّراكيب والأبعاد اللّغويّة وخاصّة في استعارة البيان وجعلِه من اليوميّ، أو كما يقول جورج لايكوف ومارك جونس "الاستعارات التي نحيا بها" في تجديد الفكر من خلال سرديّةٍ مُربكة تتعدّى حدود التّقليد الأدبيّ لتكون من نسق المتغيّر في الحياة والمجتمع وصورتيْهما؛ اختلافٌ أو "مفهوم الانزياح بما هو مفهوم أسلوبيّ" في الكتابة وفي التّبشير بنمط حياة جديد مأمول أيْضًا في جدليّة الشّرط وجوابه؛ يقول أحمد محمّد ويس في ذلك، إضافة إلى عبارته السّابقة:

"إنْ يكن الكوْن في انزياح دائم وخلقٍ جديد، فإنّ اللّغةَ –وهي مادّة الأدب- هي الأخرى فضاء وكوْن من العلامات منزاح، ولئن بدا شكلها للنّظرة الإجماليّة ثابتًا فإنّ مِنْ وراء هذا الثّبات الظّاهر لَتغيّراتٍ مستمرّة، فترى الدّالّ ساكنًا ولكنّ المدلول في حركة دائبة."[2]

إن تغيُّرُ نمط الخطاب يستدعي إثارة مشكل تفسيره، ليْس فقط في أنظمته وأنساقه بل في قنوات التّواصل فيه؛ النّقد لمْ يعد منهجًا بعد أنْ كان وصفًا ووضْعَ مواثيق ومقْولات، إنّه موضوع الخطاب ذاته وإعلان ضمنيّ عن أنّ الحجاج والجدل لمْ يعودَا جزءًا من منطق في التّراث المعرفيّ الإنسانيّ، بل هو جدلٌ في المسكوت عنه وما يُعتبَر من اللاّمنطق؛ يقول نعوم تشومسكي:

1 إيلينا سيمينو (2013). *الاستعارة في الخطاب*، ترجمة: عماد عبد اللّطيف وخالد توفيق، القاهرة- مصر، المركز القوميّ للتّرجمة، ط. 1، ص116.

2 أحمد محمّدويس (2005). *الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة*، بيْروت- لبنان، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط. 1، ص 26.

"حين نمضي بهذه المقاربة إلى حدودها الطّبيعيّة فإنّها تؤسّس لنتيجة لا يمكن البرهنة عليْها في أيّ مقاربة من هذا النّوع لإشكاليات التّفكير.

وعمومًا، نعتقد أنّ الأهمّيّةَ الكبرى لدراسة اللّغة تكمن في إمكانيّة إعطاء صيغة واضحة نسبيًّا ودقيقة لبعض الأسئلة المحوريّة حول السّيكولوجيا وتوفير كتلة من الأفعال ذات الصّلة بهذه الأسئلة، والأهمّ أنّ دراسة اللّغة في الوقت الحاضر، فريدة من حيث المزاوجة التي توفّرها بيْن ثراء المعطيات وإمكانيّة صياغة نتائج قاعديّة بدقّة".[1]

فأبنية اللّغة وإنْ تكنْ محور البحث والدّرس في ذاتها فهي ليْست بمعزل عن أبنيتها العميقة في علاقة الخطاب بالباثّ والمتقبّل والثّقافة وتحوّلاتها وإشكاليات فصل النّقد عن الواقع والمجتمع. إنّ أقطاب المعرفة صارت أسيرة التّنظير في دوائر البحث العلميّ في علّيّته وفي معايير تحديد صفات من له أهليّة النّقد وتحديد أُطُره، وهو ما جعله متجاذَبًا بيْن "اللّغة والفكْر".

لمْ تعد الكتابةُ تحتمل فراغات المعنى تُملأ بالتّأويل وتأجيل الإنشاء بلمسة إنسانيّة؛ إنّ الإنسانَ لشقيٌّ، وليْست العبارات التي يستعملها في الفضاء في استعاراتها إلاّ الواقع يخاله المنسيّون الإنسان، وقد أفرِغ من المعنى أو أقصِيَ من إطاره الاجتماعيّ الطّبيعيّ، وشَقَّ أمرُ الكتابة حين بات الإدراكُ معها قرين الواقع لا إيحاءات الخيال والتّخييل.

2. 2. مراجع النّقد وتحدّيات الخصوصيّة

أصبح النّقد من جنس محتواه بحثًا في ما لمْ تسعه الأجناس الأدبيّة المألوفة، فحوّل الخطاب من النّمط إلى فوضى النّظام وتقويضه في نقدٍ هو أقرب إلى إيديولوجيا وموقف نقديّ وليْس منهجًا[2]، إذْ تحيل هذه الكتابات النّقديّة إلى وعي غريب بأهمّيّة الفضاء العامّ كوسيط للتّواصل الإنسانيّ والتّفاوض المُعقّد حين يُعارض الهامش الطّبيعة المُصطنَعَة بنفوذ المال والجاه، ويصوغ أطروحاته التي باستكشافها تتولّد أسئلة حول النّظام

1 Noam Chomsky (1969). *Le langage et la Pensée*, traduit par Louis- Jean Calvet, Paris : Editions Payot, p. 100.

2 عبد السّتّار جبر (2019).*المنهج والهُويّة: نشأة النّقد الأدبيّ المعاصر في المغرب العربيّ وتطوّره*، ص 9. https://www.researchgate.net/publication/335738409

والفوضى، والسّياسة والمجتمع، والوجود الإنسانيّ بيْن الفعل والعدميّة المقنّنة؛ عدميّة قد نجد لها أشباهًا ونظائرَ في نقد الأدب وتحويل نمط التّفكير إلى ما يُلائم احتياجات المجتمع المتغيّر خاصّةً في مفهوم السّلطة واستخدامها.

تتوزّع الآراء النّقديّة والكتابات الأدبيّة حول هذا النّوع من إبراز الهامش إلى موقفيْن متناقضيْن: يرى فيها الأوّل قبحًا يسيء إلى الجمال وإمكانيات تجلّيه في المكان، كما يرونه انحدارًا بالسّلوك الاجتماعيّ والذّوق العامّ؛ ويرى فيها الثّاني عبقريّة الهامش وقوّة مضادّة لأصحاب الموقف الأوّل؛ تفيض الكتابة النّقديّة على حدودها في جماليّة النّصّ بمفهومه الكلاسيكيّ إلى البحث في الهزّة التي يسبّبها هذا النّوع من الكتابات في التّداول بيْن القبول والرّفض، والإدراك بيْن أنْ يكون مرجعه المجتمعَ أو الأخلاق أو القوانين أو الإعراض عن كلّ هذا من أجل نقد الذّات قبل البحث في الموضوع، بل دراسة أسباب الظّاهرة و ليْس مظاهرها.

إنّ قيمة الكتابة على الجدران قيمتان: أدبيّة تمثّل انزياحًا عن النّظريّ ليكون الواقع هو المرجع في الكتابة والنّقد، ومرجعيّة في إطار التّفكير السّوسيو- لسانيّ من ناحية، والسّيكولوجيّ من ناحية أخرى بما أنّ هذه الكتابة "تمثّل التّفاعل الرّسوميّ للبشر مع الفضاء المحيط بهم، وبالتّالي تحويل الأفكار والمشاعر غيْر الملموسة إلى علامات ملموسة"[1]؛ وفي نقد هذه الكتابات أكثر من بُعد دلاليّ لعلّ إطارَها الجامعَ هو أدبيّة النّصّ في المجتمع، وقد انقطعت سُبُلُ التّنظير عن قضايا الرّاهن يستدعي الماضيَ في رموزٍ يكتبها صاحبها، ربّما يعرف منها بعض معنى أويغيب عنه كلُّه في توازي ثقافة المحور وثقافة الهامش دون أنْ يلتقيا في مشروع الفكر والسّياسة. إنّ كتابات النّقد تناظر موضوعها، لكن وكأنّ هناك هزّةً فكريّة على غيْر منوال أسّستْها الكتابة على الجدران فلمْ يعد الأمر متعلّقًا بِـ"طريقة واحدة" يمكن تطبيقها كمنوال على مختلف القضايا، بل فتحت أبواب المواضيع في تعقيداتها وفروقها الدّقيقة، بما يُفسح المجال لسلسلة من عمليات إعادة التّفكير في:

1 Mia gaia Trentin, Graffiti- space, new video on *Academia*.

- قضايا الرّاهن في الحياة والمجتمع ليْس فقط في البلدان المغاربيّة أو العربيّة بل في علاقة شمال/ جنوب: السّائد ووسائل التّغلّب.
- نظريّة الخطاب وأساليبه بيْن الأسُس وإملاءات المراجعة والتّغيير في المفاهيم والمضامين كليْهما، فيُصبح الخطابُ النّقديُّ الواحد متعدّدَ المرجعيات والثّقافات.[1]

ما الذي يولّد الفُرقة والتّرتيبَ الهرميّ لأشكال التّعبير رغم أنّ مواضيعها واحدة؟، قد يعود ذلك، كما يرى محمود طرشونة، إلى "مشكلة الإسقاط" إذْ يقول:

"الإسقاط في الأصل مصطلح ينتمي إلى معجم علم النّفس والتّحليل النّفسيّ، ثمّ تسرّب إلى معجم النّقد الأدبيّ للتّعبير عن إقحام النّاقد لآرائه الذّاتيّة أثناء تحليله لأثر إبداعيّ. فلا شكّ أنّ الأثرَ الأدبيّ الثّريّ متعدّدُ الألسنة والأبعاد، ينطق بمكنون النّفس والفكْر، وقد ينكشف بيُسر وقد تنغلق كوامنه فيقتضي تسليط أضواء كاشفة، لكنّ تلك الأضواء النّاتجة عن تعدّد القراءات، النّاتج بدوْره عن تعدّد الآراء الشّخصيّة قد تصيب الهدف وقد تخطئه خاصّة إذَا تمسّك صاحبها بما في نفسه هو فأسقطه على الأثر مهما كان فحواه".[2]

وقد يُعتَرَض على ذلك بأنّ الكتابةَ على الجدران ليْست من الإبداع، لكن ما مفهوم الإبداع، وما معاييره؟ الدّين؟ الأخلاق؟، المجتمع المحكوم هو ذاته بمفارقاتٍ تحتاج بدوْرها إلى تقييم وتعديل؟، هنا أيْضًا يدعو طرشونة إلى ضرورة التّفريق بيْن المفاهيم والمصطلحات ليْس في المعجم وإنّما في المرجع (الإبداع، النّقد الأدبيّ، الثّقافة بيْن أنْ تكونَ ظاهرة أو سلوكًا أو نمطَ تفكير[3] والمنهج كليْهما.

---

1 Susana Martínez Guillem& Christopher M. Toula (2018) Critical Discourse Studies and/in communication: theories, methodologies, and pedagogies at the intersections, Review of *Communication*, 18:3, 140-157,p. 144. DOI: 10.1080/15358593.2018.1480793,

2 محمود طرشونة (1989). *مباحث في الأدب التّونسيّ المعاصر دراسات نقديّة في مؤلّفات المسعديّ والمدنيّ والفارسيّ وخريّف...*، تونس، المطابع الموحّدة، ص 47.

3 خالد الغريبي (2008). منزلة النّقد الأدبيّ الحديث في تونس من خلال بعض أعلامه، *علامات*: 30 (ص 143– 157).

3. الخطابات النّقديّة محاكاة أوصراع بقاء

3. 1. الكتابة على الجدران وأصداء التّقبّل في الأدب

اللّغة أداة النّقد وموضوعه أو نظام يناقض محتواه، فالنّصّ الأدبيّ ينأى عن النّقد القديم ولكنّه لا يتخلّص من بيانه ونظمه ومناهج التّصنيف فيه؛ والخطابة في الآن والزّمان تُوهِم بالقيَم الكونيّة بلغة تقوم على المبالغة والتّمويه ووضْع المبادئ في الإيديولوجيا؛ والتّفاسير تدور على أصولها فتوافقها حينًا وتدخل في نسيج إنتاجها، ولكنّها لا تجانسها في أجزاءٍ منها[1]؛ الكتابة على الجدران أيْضًا هي من هذه الأصناف كلّها تُعيد صياغة خطاب أُرِيدَ له التّأبيد في دوائر قد تُعيد نفسها دورانًا في اللاّمعنى، ولكنّها على كلّ حال تتصاعد في زمانٍ ومكانٍ آخريْن أو مواقع حروب بيْن الوجود المادّيّ وهيْمنة الإيديولوجيا؛ يقول كلّ من محمّد دبيح ومحمّد جواد مكيكةفي تناولهما "مسارات سؤال الهامش":

"إنّ الحديث عن مركزيّة الهامش وهامشيّة المركز هو في الواقع حديث عن تحوّل كبير في مسار الفكر التّفكيكيّ وجينالوجيا الإبداع عمومًا، ذلك أنّ الانتقال إلى الهامش هو في الواقع جرأة فكريّة بات يمارسها النّاقد ليحفر ويبحث في الزّوايا المعتمة والمظلمة في النّصّ الأدبيّ كون الهامش قد أضحى اليوم صورة من صور التّنوير الفكريّ الذي يفرض منطق المساءلات والتّشكيك الذي لا ينقطع، إذْ ليْس هناك شيْءٌ اسمه قطعيّ أو مثاليّ أو مقدّس أو تجاوز لخطوط حمراء."[2]

تتعدّد الخطابات النّقديّة في صيغها بيْن ما يُكتب على الجدران، وما يهتمّ بالثّقافة، وما يبحث في مكوّنات النّصّ وأدبيّته؛ ومع ذلك تتقاطع وتلتقي في الوصف والبحث عن المثال في النّاس والأشياء، وفي الفكر والتّصوّر الذّهنيّ بيْن أنْ يكون حلمًا هشًّا في الواقع أو نظرةً تجمَع المتعدّد في النّصوص وتعيى عن ذلك في الخطاب؛ واتّفاقها في اللّغة طريقةَ تعبير عن المواقف والمغامرات مرايا "الثّقافات العليا والثّقافات الشّعبيّة" وآثارها في سمات المعرفة

---

1 Norman Fairclough (1995). *Critical Discourse Analysis The Critical Study of Language*, London & New York : Longman Group Limited, p. 77.

2 محمّد دبيح؛ محمّد جواد مكيكة (2021). النّصّ الأدبيّ من ميتافيزيقا المركز إلى ثقافة الهامش، ضمن: *مجلّة فصل الخطاب*(ص 63- 74): 10 (04)، ص 65.

ومناهجها، وهي وإنْ تُعَدَّ متنوّعة متباعدة فما يجمعها هو محتوى الموضوع بيْن "الجماعات جنسيّة أو اقتصاديّة أو عنصريّة أو عِرقيّة أو دينيّة أو سياسيّة..."؛ تميّزٌ في "المظهر والذّكاء والشّخصيّة"[1]، وتماثلُ صِيَغٍ في التّطوّر والمجتمع وفي نظريات الأدب والتّحليل النّقديّ للخطاب؛ يقول جمعان بن عبد الكريم:

"إنّ الدّراساتِ الثّقافيّة وإنِ اشتركت في دراسة الخطاب مع تحليل الخطاب وتحليل الخطاب النّقديّ إلاّ أنّ الدّراسات الثّقافيّةَ تختلف عنهما في عدم وجود منهج محدّد لتلك الدّراسات؛ هي تأخذ مناهجها من تخصّصات متعدّدة بما في ذلك تخصّص تحليل الخطاب في بعض الأحيان، ثمّ إنّ الدّراسات الثّقافيّة اهتمّت بقضايا محدّدة من خلال دراسات الإيديولوجيا ثمّ دراسة التّغييرات الثّقافيّة، ودراسات ما بعد الاستعمار علاوة على ذلك، فإنّها تغرق في التّنظير على حساب الجوانب الأخرى."[2]

قد يتطلّب التّفاعل الاجتماعيّ تغيير منهج التّواصل تبدو فيه اللّغة عاديّة، ولكنّها ليْست مألوفةً لا في التّعامل مع الفضاء الذي تتجلّى فيه ولا في تلك النّزعة الانتقائيّة التي بها يريد تبليغ صوته في جدليّة النّظام الهيكليّ والخروج منه إلى التّمثيل الرّمزيّ في ظاهره تشويه للمشترَك من الفضاء، أمّا شفراته فتعكس استخدام مهارة إدراك الأحداث من وجهة نظر مخصوصة، غايتها كشف الاحتياجات المستقبليّة[3]؛ تقطع هذه الأشكال التّعبيريّة مع المألوف وما اعتُبِر "أيقونة" في الثّقافة وأشكالها وفي الآداب وفنونها، أو هي "أشكال الإدراك العليا" في تصنيف البشر وأدبياتهم في الاصطلاح والإنشاء الفنّيّ والنّقديّ، لكنّها في الواقع

1 أرثر أيزابرجر (2003). *النّقد الثّقافيّ تمهيد مبدئيّ للمفاهيم الرّئيسيّة*، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، القاهرة- مصر، المجلس الأعلى للثّقافة، ط. 1، ص 194- 195.

2 جمعان بن عبد الكريم (2016). *من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقديّ مناهج ونظريات*، عمّان- الأردن، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، ط. 1، ص 133.

3 توفيق العلويّ (2021). *نحو الشّوارع- غرافمار/ Graffimmaire/Graffimmar*، صفاقس- تونس، دار محمّد عليّ الحامّيّ للنّشر، ط. 1، ص 119.

حالات مختلفة لمحيط مشترَك ليْس فقط في الخطاب المغاربيّ لكن في العالم الموجود بالقوّة في السّلوك، وبالفعل في المواقف".[1]

أثار الحبيب صالحة قضايا عديدة تتعلّق بالخطاب النّقديّ المغاربيّ: البثّ والتّلقّي، دوائر المعرفة بيْن المعياريّ والنّظريّ، القراءة والتّصنيف، المُنْتَج النّصّيّ ومراجع التّنصيص[2]، ولكنّ هذا كلّه "يتهاوى" حين يغلب الهامشُ المحورَ ويكاد يغيّب جميع ملامحه وقد وُضِعتْ نصوص تستقطب لغة الخطاب لا خطاب اللّغة، وفرضت الانتباه إلى ما حُكِمَ عليْه بالرّفض إنْ تصريحًا أوْ تلميحًا.

3. 2. شبكات التّواصل في النّقد وإمكانات الاسترسال

ليْس دافع البحث المقارنةَ بيْن النّقد الذي محوره الأدب بمفهومه المرجعيّ، وبيْن الذي ينشأ في الهامش وحوله، إنّما المراد تبيُّنُ أسباب هذه المفارقات والتّحوّلات والطُّرُق التي بها تتجلّى؛ وحين نتحدّث عن النّوع الثّاني، فهل ينفي هذا الحديثَ عن أنموذج سرديّ أمْ هو مجرّد نموذج لا يتجاوز حدود العارض من الحوادث في الحياة والمجتمع؟، ثمّ ألا يمكننا أنْ نتحدّث عن أدب من جنس مختلف كما كان الأمر ولا يزال ليْس فقط عند العرب منذ القديم بل في الأدب العالميّ؟

الكتابة على الجدران أو صوريّة الوقائع وهي تتجلّى عملاً فنيًّا يُعيد تقدير "المؤسّسات السّياسيّة وأشكال الحياة الاجتماعيّة، والممنوعات والإكراهات المختلفة أو المتعدّدة"[3]؛ إنّه

---

1 Peter Gärdenfors& Mathias Osvath (2010).Prospection as a cognitive precursor to symbolic communication. In Richard K. Larson, Viviane Déprez & Hiroko Yamakido (Eds.), *The Evolution of Human Language* (pp. 103- 114). UK : Cambridge University Press, p. 104.

2 Habib Salha (1991). Critique de la critique maghrébine. In: *Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire*, N°17. La perception critique du texte maghrébin de langue française. pp. 72-75; doi : https://doi.org/10.3406/horma.1991.1096 https://www.persee.fr/doc/horma_0984-2616_1991_num_17_1_1096.

3 Michel Foucault (1994). La Philosophie structuraliste permet de diagnostiquer ce qu'est <aujourd'hui>. In*Dits et écrits 1954- 1988 I 1954- 1969*, Paris : Editions Gallimard, p. I/ 582.

الهامش يحاكي الثّقافة والفكْرَ بل أرقى تجلّياته حين تُقَدَّر الفلسفة أيْضًا عند ميشال فوكو "باعتبارها نوْعًا من التّحليل للظَّرْف الثّقافيّ أو للحالة الثّقافيّة"[1]، فهل يُفسَّرُ هذا بأنّ هناك تصاديًا بيْن مجالات المعرفة، فلا ضيْر في انفتاح بعضها على بعضٍ، أمْ يحيل هذا إلى "فشل" أدب المحور في مساره الثّقافيّ والتّاريخيّ حتّى حلّ الهامشُ محلّه، أمْ هي تجربة التّخوم تأتي عفوًا في الكتابة على الجدران، وتُقنَّن وتُعقَل في النّقد والمجتمع بمفهوم السّلطة والأحكام الأخلاقيّة أو المعياريّة بصفة عامّة؟

قد تكون المغايرة في أنّ من كان موضوع الأدب قد صار من صنّاعه، وتجاوز منطق النّقد المألوف لتكون له قدرة تأسيس نمط جديد في التّفكير والتّعبير؛ لمْ يعد الأمر نظريًّا ومنهجيًّا صرفًا بل أذكى جذوة التّاريخ في الكتابة النّقديّة أو الكتابة كمغامرة؛ إنّها أنساق النّحو في النّصّ، أو أثر الوجع في الخطاب وجزء من سرديّته في النّزعة والنّزعة المضادّة وما بيْنهما من الخلل وصنوف المحاجات؛ يقول جون سورل:

"إنّ معرفتنا بالواقع لا يمكن أبدًا أنْ تكونَ "غيْر موسوطة"، بل تتوسّط فيها دائمًا وجهة نظر معيّنة، أو مجموعة من النّوازع، أو وهو الأسوأ من ذلك كلّه، الدّوافع السّياسيّة الفاسدة، كالانحياز إلى جماعة أو إيديولوجية سياسيّة. ولأنّنا لا نستطيع أبدًا أنْ نمتلكَ معرفة غير موسوطة بالعالم، إذن ربّما لن يكون هناك عالم واقعيّ، أو ربّما يكون من غير المجدي حتّى الحديث عنه".[2]

يقوم الخطاب النّقديّ للأدب على دراسة النّصوص باعتبارها استعارة العالم الخارجيّ حولها، ويأتي الخطاب النّقديّ للواقع مرتبطًا به ارتباطًا مباشرًا برسمه وتشكيله من حيث هو "قضيّة ثقافيّة معاصرة وتاريخ فكريّ"؛[3]، إنّه صراع حول الفكرة في الصّيغة

1 الزّواوي بغوره (2009). *ما بعد الحداثة والتّنوير- موقف الأنطولوجيا التّاريخيّة -دراسة نقديّة-*، بيْروت- لبنان، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، ص 107.

2 جون سيرل (2006). *العقل واللّغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعيّ*، ترجمة: سعيد الغانمي، الجزائر العاصمة- الجزائر، منشورات الاختلاف؛ المغرب، المركز الثّقافيّ العربيّ؛ بيْروت-لبنان، الدّار العربيّة للعلوم، ط. 1، ص 36.

3 نفسه.

والمحتوى وموقعها من "الحقيقة"، والمنزلة التي ينبغي أنْ تكون للكتابة: هل في الأدب وأجناسه أمْ في ما يشغل بال النّاس من القضايا والأماني والأحداث والأحوال؟.

التّركيز في ثقافة الهامش على أنّ أصحابها مجهولو الهُويّة، رغبةً أو رهبةً، يشي بأنّ النّقد لمْ يعدْ مرتَكزُه أسماءً تتردّد أصداؤها في أنحاء الأرض، بل صارتِ الأرض هي الهمّ ورمز الضّياع والتّيه، ولعلّ هذا ما يفسّر إنكار أصحاب ثقافة الهامش التّقيّدَ بشروط الكتابة وإملاءاتها وحدود النّصوص فيها ليُطلقوا العنان إلى امتلاك الفضاء وأنواع التّدوين وأشكال الرّسم فلا نمطيّةَ ولا حدود إلاّ ما به تكون إنسانيّة الإنسان والرّغبة في الخروج من العبث إلى البعث وقد انعكست "ملامح العصر وقسماته"[1] في كلّ الأجناس الأدبيّة وعلى تُخومها في السّمات والعلامات المُشتَرَكة؛ إنّ الأنماط الأدبيّة ذاتها من قصّة قصيرة ورواية باتتْ هي أيْضًا جزءًا من أدبيّة النّقد أكثر من أدبيّة السّرد لتدخل في منظومة دراسات تحليل الخطاب في مفهومها الكونيّ والهموم الإقليميّة جزءٌ منها.

إنّ هذا التّشاكل والتّعالق هو نتيجة طبيعيّة لتغيّر الوعي النّقديّ إذْ لمْ يعد حكرًا على الأدب، وإنّما صار حيويًّا في أنماط الخطاب المعاصرة "مع الصِّحافة والإعلانات والوثائق والتّاريخ وعلم الاجتماع، وبوسائط أخرى مع السّينما"[2]، بل قد تكون هذه النّصوص التي كُتِبتْ على هامشها خلفيّة اجتماعيّة لإعادة التّعريف وإعطاء الأولويّة للمعجم المُستعْمَل ووضعه في أبعاده اللّغويّة والدّلاليّة والإدراكيّة لإنشاء "المعاني الاجتماعيّة".[3]

1 محمّد عبد الحليم عبد الله (1977). *الوجه الآخر مقالات في الأدب والفنّ والحياة*، القاهرة-مصر، دار مصر للطّباعة، ص 83-85.

2 روجرفاولر (2009). *اللّسانيات والرّواية*، ترجمة: أحمد صبرة، الإسكندريّة- مصر، مؤسّسة حورس للنّشر والتّوزيع، ص 18.

3 Majid KhosraviNik(2010). Actor descriptions, action attributions, and argumentation: towards a systematization of CDA analytical categories in the representation of social groups. In *Critical Discourse Studies* 7: 1, 55 — 72.
URL: http://dx.doi.org/10.1080/17405900903453948

النّتائج:

- الكتابة على الجدران أو الفضاء عامّة هي ردّة فعل طبيعيّة على النّمذجة في الأدب والثّقافة والحياة والمجتمع؛ إنّها نشاط استثنائيّ في مناهج التّهميش بُغية استعادة ما فُقِدَ من القيمة ورغبة في تأسيس التّكامل بيْن المتناقضات والبحث في العِلل دون الوقوف على أسبابٍ استغلّها "أهل الثّقافة في تقديس الماضي واعتباره المرجع والمنتهى

- قد تكون للنّقد المغاربيّ خصوصياته في متْن النّصّ واختياراته المضمونيّة وأشكاله السّرديّة، لكنّه ليْس بمعزلٍ عن سياقات التّحوّل في الإنتاج والنّقد على نطاق عالميّ، فكأنّ الحديثَ عن النّمط والأنموذج في النّقد السّرديّ لمْ يعد مقصودًا لذاته، وإنّما صار مطيّةً لمرايا الواقع وما تشهده البلدان العربيّة عامّة من تجاذبات فرضت مواضيعَ معيّنة في النّصوص والخطابات

- الفصل بيْن التّنظير والتّطبيق صار حلقة في تاريخ النّقد عامّة، وهو ما يبرّر التفات النّقّاد من الأكاديميّين أيْضًا إلى ما اعْتُبِرَ في الأخلاق والمجتمع ثقافة اللاّمنطق، أو فوضى الكتابة، وإنّها بهذه الهزّة في التّقبّل والتّقييم أثارتْ أيْضًا أنواعًا من النّقد جديدة ولّدت إضافةَ جزئياتٍ وتفاصيلَ في مفاهيم النّقد والتّنظير.

- الخطاب النّقديّ المعاصر عامّةَ بدأ ينزاح عن النّظريات المألوفة لطبيعة أنواع الكتابات المدروسة لأنّها هي ذاتها النّصّ ونقده في آنٍ، ومن هنا صار الحديث عن نقد النّقد في المتن والهامش، والأصل والفرع، بل في مفارقات الصّفة والخروج عن الثّوابت في النّصوص وما يدور حولها من البحوث أيْضًا.

- المقولات السّرديّة في حضورها طيْفا وغيابها علاماتِ إنشاء وبناءٍ هي جزءٌ من شبه قطيعة مع "العلياء" في الثّقافة والفِكْر، وكأنّها إعلانُ انحسار دائرة القراءة مقابل اتّساع دائرة التّجلّي في خطاباتٍ كان أفقها ضيّقًا لدى أفرادٍ أو جماعاتٍ منسيّين مع قيْد السّلطة وتوجيه الإيديولوجيا، وكأنّه الإيذان بانعتاق مفاهيم إنسانيّة الإنسان من الشّعارات إلى ضرورة وضعها حقائق لا تمثّلات في صراعات مواقع القوّة.

- عبقريّة الكتابة والنّقد لمْ تعد فرديّة بل مجتمعيّة، وأصداء النّصّ ليْست في الممكن من القراءة والتّأويل بل في تحليل الصّورة والرّسم والبحث عن الأشباه والنّظائر في الواقع وفي منازعة الحياة الموتَ؛ لمْ يعد الخيالُ مصدر الإلهام بل نقد الواقع من الواقع ومن انعكاساته على الجدران: المكان والرّمز.

الخاتمة

التحوّلات العديدة التي شهدها النّقد المغاربيّ استدعت قراءته أيْضًا من زوايا مختلفة قياسًا على المناهج المتّبَعَة فيه؛ وإنّ وراء ذلك من الاختيارات أو الإكراهات ما يجعلها متنازعة بيْن التّاريخ واللّسانيات والأدب في المحاكاة والتّجريب، أو التّجاوز بإنشاء أشكال في الكتابة أثارت انطباعات عديدة بيْن الاكتشاف والدّهشة، والرّسم والأثر الاستثنائيّ، وهو ما بيّنّاه في هذه الورقة البحثيّة، وأفضى إلى آفاق بحث رأينا بعضها في ما يلي:

1) الإبداع المغاربيّ بيْن معايير النّقد وخلفيات العِرْق والدّين
2) الكتابة وصراعات الوجود في الواقع والمجاز
3) الإنّيّة والغيْريّة في التّدوين والنّقد.